طاعنة في السن ، على ما يبدو ، ومزدهرة ، وكأنها فقدت كل ما يمت للنبات بصلة ، بل جماد ضخم · ثم عاد احدنا بعد ذلك ببرتقال فأكلنا ·

كنا قد اتجهنا منحدرين في اثلام بليلة ، رمادية ، لم يسعفهم الوقت لزرعها ، فدفعنا بوابة خشبية كبيرة في سياج طيني ، وصعدنا في طريق ضيق ، في جادات صباريـــة مفروشة بالروث ، رطبة الطحلب ، تشعب الخزام فيها والشاهترج ، ونباتات خصبة غير مزهرة تزرح تحت حملها الرمادي الرطب ، وتتوارى في مخبأ السياج ــ ثم عدنا وتسلقنا التلة التالية · ومن هنا كانت التلة مكشوفة امامنا ، فاتخذنا مواقعنا ، ونصبنا المدفع الرشاش وكنا جاهزين لان نبدأ · وبعد ان اخبرنا ذلك الذي كان ينكب على جهازه مستمعا متحدثا الى قمع اللاسلكي بنغمة طقوسية ، بأنه لا يزال لدينا ثمة وقت لساعة الصفر · بحثنا فوجد كل منا مكانه الجاف للجلوس او التمطط والانتظار بهدوء لبدء الامور ·

ومن كالجنود يعرف الانتظار ، اذ ليس من ساعة تمر ولا مكان لا يكون فيهما جنود ينتظرون وينتظرون · انتظار في المواقع ، انتظار في الهجوم ، انتظار قبيل اطلاق النار ، انتظار في توقف اطلاق النار ، ثمة انتظار متوتر مضطرب ، وثمة انتظار ممل ، يأكـل ويحرق كل شيء ، دونما نار او دخان ، ودونما حدود او نهاية · نعثر على مكان مـــا ونسويه ثم نتمدد وننتظر · واين لم نتمدد بعد ؟ ·

في السابق ، وفي اليوم الذي بدأنا ندخل القرى المحتلة فيه ، وما زال شيء يخدرك ، كان من الافضل لك ان تقف طيلة النهار او تمشي كي لا تجلس على تلك الارض ، التي هي ليست ارض حقول وانما بقعة تراب عفنة ، موبوءة بغضا ، بصقوا عليها اجيـالا ، واودعوها بولهم وبرازهم وروث ابقارهم وجمالهم ــ تلك البقع من التراب المحيطة بالاكواخ، المصابة بعث نفايا مساكن انسانية متراصة وحقيرة ، كل شيء كان قذرا ، وتمقت ان تأخذ شيئا بيديك ــ وفي ساعات ما بعد ظهر ذلك اليوم ، كنا جميعا متحلقين ، متمددين بملء قاماتنا منذ وقت طويل ، فوق ذلك التراب السقيم ، مضطجعين بارتخاء ، وبقلوب خالية ، ونضحك حتى الدموع احيانا ·

هه ·· ايام الواقع · كان لنا هناك ذات مرة قزم ، انقر الوجه داكنه ، اجعد الشعر صوفيه ، وكان يرفه عن قلوب الخلق بحركات غريبة من وجهه ، ويشوهه بشتى الاشكال المطلوبة لذلك ، وهو يلبس قميصا داخليا متسخا ، وللمرة الالف كان كمن يخابـــر باللاسلكي ، يخابر ويخابر بصوت اجش : « هل تسمعينني ؟ هل تسمعينني ؟ انا في التل انا في التل ، في ، في خربة ، في خربة ، واريدك ، وانتظرك ، هل تسمعينني ؟ حول ! »· فيستجيب الجمهور بسهولة له ويرد بقهقهة مستهترة ، كان الفزع من توقفها يطيل عمرها اكثر مما تحتمل ·

كلاب نفقت ونتنت ولم نكترث · ايام كاملة في الغبار المقفر والملل المنتن ، وفي الخطـر المتربص والقذارة التي لا خلاص منها · رابضون وننتظر الحدث الذي قد يأتي ، او اي شيء ما · لم يعد ثمة من حكيم واحد يعبأ برش نفسه اتقاء للبراغيث · نربض في حفرة ظليلة ونضجع · وحين تدور الشمس نرمقها بنظرة مؤنبة دون ان نحرك ساكنا · فلتتفجـر الشمس ولكنك لا تتحرك · وعندما تهب ريح بحرية عذبة في النهاية ، وترفع الغبار قليلا وتحرك ستائر قاذورات الغبار الخمسينية الغاضبة المعلقة ، يشتعل الرجاء الطيب فيـــك حالا · وسرعان ما ينصهر النحيب الحزين في اعماقك ، وتشرع في تذكر الفتيات · شيء ما يخصهن كلهن حيث هن · وشيء ما لواحدة منهن ــ الا ان الريح كانت وقبل ان تطوي